جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم علوم القران الكريم والتربية الإسلامية

المرحلة: الثالثة
المادة: اديان

بولس واثره في النصرانية

ا.م.د هدى علي عطية

huda.ali@tu.edu.iq

٢٠٢٤-٢٠٢٥

اسمه شاؤول بن كيساي، من سبط بنيامين، كان مواطناً رومانياً يهودياً ولد في العام الثالث الهجري بعد الميلاد، من أبويين يهوديين وكان أبوه فريسياً نشأ على عقائد ومبادئ هذه الفرقة المتشددة ، وكان بولس لا يؤمن بألوهية المسيح كما كان لا يرى في أتباع المسيح سوى خطراً دينياً وسياسياً على الدولة، لذا قام باضطهادهم بقسوة بالغة وطاردهم داخل وخارج أورشليم(القدس) وفي طريق رحلته من أورشليم إلى دمشق.. للقبض على المسيحيين الفارين من أورشليم قال: "بأن المسيح قد تراءى وقاده إلى الإيمان به"

ومما لا شك فيه ان هذا الرجل كان يتصف بصفات امتاز بها عن غيره، فقد كان نشيطاً دائم الحركة، كما كان واسع الخيال، وشديد الذكاء بارع الحيلة يدبر الأمور كما يريد فقد كان يعترف بنفسه انه رجل حربائي اي يلبس لكل حال ما يناسبها، فهو يهودي مع اليهود، وروماني مع الرومان، بل دل على ذلك سيرة حياته وبينت أنه لاعب حبال من الطراز الأول وهذا أحد أقواله: "فصرت لليهود كاليهودي لأربح اليهود، واللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله؛ بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس والقارئ لحياة بولس يجد انه تأثر بمدرستين

الأولى: المدرسة التي نشأ وترعرع فيها وهي طرسوس وهي مدينة من المدن التي شاعت فيها الفلسفات والأفكار اليونانية ومركزاً من مراكز التهذيب العقلي، فقد كثُرت فيها معاهد العلم والتربية، فتشبع بولس بشتى الفلسفات المنتشرة هناك وكان في طرسوس أتباع للفلسفات اليونانية وغيرها من العقائد الخفية التي تعتقد أن الإله الذي يعبدونه قد مات من اجلهم ثم قام من قبره، فإن آمنوا به إيمان حق أنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في الحياة الخالدة المباركة، كما كان في طرسوس حينئذ معتقدات وأساطير يونانية تتحدث عن منقذ ينشل البشرية

الثانية: المدرسة اليهودية الفريسية: فبعد أن تعلم شاؤول وتلقى علوم وأساطير اليونان، كما تلقى علوم ومبادئ ديانته اليهودية أرسله أبوه إلى أورشليم عاصمة اليهودية ليتبحر في الناموس فأكمل دراسته عند رجل يدعى غمالائيل وهو أحد أشهر معلمي الناموس في أورشليم وهو تلميذ الحبر اليهودي هليل الذي كان احد الذين كتبوا المشناة ومن هاتين المدرستين، فقد كان شاؤول يحمل معه التراث اليهودي واليوناني معاً

اما عن قصة تحول شاؤول إلى بولس، أو قصة تحول شاؤول إلى النصرانية فقد كانت أمر محير لكثير من الباحثين ، فشاؤول كما يقول ديورانت بدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح ، تزعم بولس الإضطهاد الأول للمسيحيين في القدس،وكان من شدة حقده على اتباع المسيح، يذهب إلى بيوتهم فيأخذهم ليلقيهم في السجن، يقول صاحب رسالة أعمال الرسل: وأما شاؤول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن وبدون مقدمات، وبينما هو في طريقه إلى دمشق، يحدث الانقلاب المفاجئ في حياة شاؤول، يصفها لنا صاحب رسالة أعمال الرسل فيقول: وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له شاؤول شاؤول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده .... فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب قم

وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاؤول عن الأرض، وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحداً، وبقى ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب حتى جاءه أحد تلاميذ المسيح ووضع عليه يديه وقال: أيها الأخ شاؤول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس، فوقع من عينيه شي كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد.

وبدل أن يذهب بولس إلى القدس ليتتلمذ على يد تلاميذ المسيح ويعرف منهم تعاليم المسيح، صار يدعو في دمشق بين المسيحيين أن المسيح هو ابن الله، وجعل يكرز في المجامع بالمسيح إن هذا هو ابن الله وهذا الإدعاء جعل اتباع المسيح يقفون مبهوتين محتارين أمام هذه المزاعم كما جاء في أعمال الرسل، ويبدو أن إدعاء بولس أثار حفيظة اليهود في دمشق، مما جعله يفر من وجههم ويغادر دمشق إلى بلاد العرب، بدل أن يغادرها إلى القدس حيث هناك تلاميذ المسيح وبقي في بلاد العرب ثلاث سنين، وبعدها ذهب إلى القدس ليجتمع مع تلاميذ المسيح عليه السلام ، ولكنهم رفضوه ولم يقبلوه بينهم ومن الواضح أن الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح كان في البداية غير ظاهر امام الناس، ولم يظهر إلا بعد أن واجهت بولس مشكلة مهمة، وهي فرض عملية الختان على المؤمنين الجدد، ولهذا جاء إلى القدس من أجل أخذ فاخذ مشورة الرسل أي حواريي عيسى عليه السلام، وهنا احتدم الخلاف بين بولس من جهة وتلاميذ المسيح من جهة أخرى، وهذا الخلاف كان لابد من حدوثه، لأن بولس كما يصرح في رسائله كان يبشر بإنجيله الذي استوحاه من تصوره وذاته في مناطق لم يصلها تبشير تلاميذ المسيح وذلك حتى لا يعارضه أحد، فهو يبشر بإنجيل جديد لا علاقة له بالأسس التي جاء بها المسيح وكانت عند التلاميذ، والإنجيل الذي كان يبشر به بولس يقوم على أن الإيمان لا يكون بالالتزام بالأعمال المفروضة في العهد القديم، وإنما فقط بالإيمان بيسوع المسيح، فهو يغني عن العمل، وبسبب ذلك تفجر الصراع، لأن الاتفاق في القدس حسب كاتب أعمال الرسل كان على الالتزام بالطاعات والمحرمات الموجودة في العهد القديم، ولكن بولس نقض الاتفاق مستعيضاً عن أعمال الشريعة التي طالب المسيح تلاميذه بالتقييد بها، بالإيمان القلبي فقط ومضمون هذا الإيمان هو أن يؤمن المسيحي بأن المسيح ضحى بنفسه لأجل مغفرة خطايا البشر، وهذا الإيمان سيخلص الإنسان من الدينونة، أما الشريعة فلا حاجة لها فقد أصبحت قديمة ويجب التخلص منها.

لقد دعا بولس الوثنيين إلى الإيمان باسم المسيح، ولكنه لقنهم مبادئ وتعاليم تخالف روح اليهودية التي ينتسب إليها المسيح وجاء ليكملها وهكذا انفصل اتباع بولس عن تلاميذ المسيح وانفصلوا عن مجامعهم، وشكلوا لأنفسهم جماعة دعت نفسها بـ (المسيحيين)، ولم يكن هذا الاسم موجوداً أو معروفاً زمن المسيح؛ من أجل هذا فإن تلاميذ المسيح تفرقوا بين الأمم والشعوب التي دانت بالمسيحية ليبينوا لهم أن تعاليم المسيح تختلف جوهرياً عن تعاليم بولس، واستطاع هؤلاء التلاميذ المخلصين أن يقنعوا كثيراً من تلك الجماهير بصدق ما يقولون فانقلبوا على بولس وتعاليمه التي كان يبشر بها، وأصبح تلاميذ المسيح ا أعداء بولس، خاصة عندما بدأوا يفندون عقائده المنحرفة جوهرياً عن عقائد المسيح، خاصة تلك المتعلقة بالزعم إن المسيح هو ابن الله و وحيده نزل إلى الأرض بشكل الإنسان ليصلب فداء الخطيئة البشرية.

ما جعل بولس يستشيط غضباً، ويواجه تلك الجماهير بأقذع الإتهامات، ويصف أهل غلاطية بالأغبياء: (أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق)

لذا كان اتباع المسيح المخلصين يعتبرون بولس (خائناً)، من أجل هذا فقد صدقهم الناس، وتزايد عددهم بسرعة نتيجة لإخلاصهم ، وتشكلت طوائف صغيرة حول كل واحد منهم ، ويؤكد الباحثين أن الدين الصحيح الذي جاء به المسيح كان يمثل حتى عام (70) ميلادية الغالبية، وكان بولس فى تلك الفترة منعزلاً هو وتعاليمه، فقد كان الساحل السورى من غزة إلى إنطاكيا مسيحياً حسب تعاليم التلاميذ

<u>دور بولس في عقائد النصارى</u>

يقول ديوارنت: لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا تجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض من أقوال المسيح ،والشيء الذي لا جدال فيه أن بولس عندما أنشأ هذا اللاهوت الجديد إنما كان يدل على عبقرية وذكاء مع الخبث والدهاء، فقد إنطوت أفكاره الدينية على آراء ومدركات ليس كلها من وحي عبقريته، بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة،والدراسة المفصلة لرسائل بولس تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار اليهودية، ومن المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، ومن الأساطير الدينية الشرقية فالأصول التي نادى بها بولس هي ذات جذور وثنية عميقة لا تمت إلى المسيح بصلة، لقد استبدل بولس أشخاص الآلهة الوثنية بالأب والابن والروح القدس وجعلها إلها واحدا، وبذلك وفق بين المسيحية الناشئة التي تدين بالتوحيد، مع الوثنية ذات الآلهة المتعددة والأسرار والتعاليم الغامضة

إن الرومان والإغريق الذين كانوا يؤلفون السكان غير اليهود في العالم الذي عاش فيه بولس كانوا وثنيين يعبدون وفرة وافرة من الآلهة والآلهات، وكان بولس يعرف أن ناساً لهم هكذا عقائد وثنية عميقة سوف لن يقبلوا فكرة تقول إن الرحمة والخلاص يمكن أن تأتي على يدي فرد من البشر، يعتبر فقط شخصاً مستقيماً وإنساناً صالحاً، لذا أراد نتائج سريعة لمهمته، فعرف أنه يجب عليه أن يلطف أو يعدل الأمور قليلاً وكان ذلك بقوله إن عيسى كان إلها، وهكذا استطاع أن يتقرب إلى الجماهير غير اليهودية في عبارات مألوفة لديها جيداً، وكان نجاحه لذلك مؤكدا، وعن قابلية مزج المسيحية بالاصول الفلسفية يحدثنا محمد ابو زهرة (رحمه الله)، في محاضراته ، فيقول: " لقد كان من المسيحيين من يفرون بدينهم، ومنهم من يظهر الوثنية ويبطن المسيحية، ومنهم من دخل النصرانية وفي رأسه تعاليم وثنية، ولم تخلع منه.. وهؤلاء لاشك تفكيرهم أثر في المسيحية، التي لم يكن لها قوة تحميها، وان التاريخ يروي لنا انه في القرن الثاني، والثالث، والرابع الميلادي قد دخل الرومان والمصريون افواجاً أفواجاً في المسيحية .. ـ ولظروف معيشية شاقة وظروف اجتماعية مضطربة ـ اراد الفلاسفة ان يحلوا فلسفتهم محل الاديان .. فاعتور النفس الرومانية حينئذ عاملان كلاهما فيه قوة، وبأس، فشعورهم البأساء، والآلام يجعلهم في حاجة الى عزاء من الدين، وسلوى باليوم الآخر وملاذ الى حياة روحية، والفلسفة لما وجدت الاوثان تسقط قيمتها أرادت أنْ تحل محلها حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الديني أو التقت الفلسفة والدين

لقد نادى بولس بالكثير من العقائد والأفكار، كان من أهمها:

أ. جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم، ولو أدى ذلك إلى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان، والسبت، وتحريم الخنزير، فأبطل الختان ونقل العيد الاسبوعي إلى يوم الأحد ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين، وأباح أكل لحم الخنزير

ب. إخراج المسيحية من البساطة إلى تعقيدات الفكر اليوناني.

ت.فكرة الخطيئة الموروثة

ث. عقيدة التثليث وألوهيّة المسيح

ج. جعل التشريع حقاً للرؤساء الروحانيين بعد أن كان للأنبياء والرسل

ح. أدخل فكرة الرهبانية إلى المسيحية

خ. وهو أول من وضع الرتب الكنسية من الأسقفية وغيرها.